" الأمانة "

ومن الأخلاق التى وجهنا إليها القرآن الكريم ، وأرشدنا الى اتباعها كى نسود ونقود ، وذلك بفضل التوجيهات الربانية التى اودعها الله . سبحانه وتعالى . كتابه الكريم. أجل انه تنزيل من حكيم حميد ، فيقول الله- عز وجل- مبينا الأخلاق الكريمة ، والفضائل الحميدة ، والسجايا الحسنة ، والسلوك الراقى المتمدن والذى يساير كل عصر من العصور ، ويرسم للمسلم منهجا مستقيما يحتذيه فى حياته ، هذا الخلق هوالذى ارشدنا إليه القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [سورة القصص:٢٢:٢٨].

ولقد وقع خلاف بين العلماء فى قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ ...﴾ [سورة القصص:٢٢] فقال بعضهم : انه خرج ما قصد مدين ولكنه سلم نفسه لله تعالى ، وأخذ يمشى من غير معرفة ، فأوصله الله تعالى الى مدين . وهذا قول " ابن عباس " -رضي الله عنهما..

وقال آخرون : لما خرج قصد مدين لأنه وقع فى نفسه ان بينه وبينهم قرابة لأنهم من ولد مدين ابن ابراهيم- عليه السلام ، وهوكان من بنى اسرائيل لكن لم يكن له علم بالطريق ، بل اعتمد على فضل الله تعالى .

ومنهم من قال : ان جبريل . عليه السلام . جاءه وعلمه الطريق ، وقيل جاءه ملك على فرس فسجد له موسى من الفرح ، فقال له الملك : لا تفعل واتبعنى ، فاتبعه نحو مدين. واحتج القائل بأن موسى -عليه السلام -خرج وهو ما يقصد مدين ان الله تعالى قال ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ ...﴾ ولوكان قاصداً مدين لقال :(ولما توجه الى مدين) لكنه قال : ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ ...﴾ وقوله: ﴿...عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [سورة القصص:٢٢]

فهذا كلام شاك لا عالم . والأقرب أن يقال أنه قصد الذهاب الى مدين وما كان عالما بالطريق ثم انه كان يسأل الناس عن كيفية الطريق لأنه يبعد من موسى - عليه السلام - في عقله وذكائه أن لا يسأل .

وخرج من مصر بغير زاد ، ولا ظهر ، يعنى ولا راحلة يركبها لتعينه على وعناء السفر، ومشقة الطريق .

أما قوله ﴿...عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾ فهو نظير قول جده ابراهيم - عليه السلام- ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٩٩﴾﴾ [سورة الصافات:٩٩] .

ويقول الإمام النسفى- رحمه الله تعالى- والتقدير : إنى ذاهب الى مكان فيه طاعة ربى .

والمعنى ولما وصل سيدنا موسى الى مدين وهى قرية " شعيب " . عليه السلام .

وجد على البئر الذى يسقى منه الرعاه جمعاً غفيراً يريدون سقى إبلهم وغنمهم ، ومواشيهم ، ووجد من غير الجماعة الرعاة ، امرأتين تمنعان غنمهما عن الماء ، فقال لهما سيدنا موسى- عليه السلام- : ما شأنكما تمنعان الغنم عن ورود الماء ؟ ولما لا تسقيان مع السقاه ؟ قالتا من عادتنا التأنى ، والتصبر حتى ينصرف الرعاة مع أغنامهم عن الماء ، ولا طاقة لنا على مزاحمة الأقوياء ، ولا نريد مخالطة الرجال ، وأبونا رجل بلغ من الكبر عتيا لا يستطيع لضعفه ان يباشر سقاية الغنم ، ولذلك اضطررنا إلى أن نسقى بأنفسنا .

ويقول " أبوحيان " وفى هذا القول اعتذار سيدنا موسى - عليه السلام .

عن مباشرتهما السقى بأنفسهما وتبينة على أن أباهما لا يقدر على السقى لشيخوخته وكبره ، وأيضا فيه استعطاف لسيدنا موسى- عليه السلام- فى إعانتهما فسقى لهما غنمهما رحمةً بهما ، ثم تنحى جانباً فجلس تحت ظل شجرة فقال : يارب إنى محتاج إلى فضلك وإحسانك ، والى الطعام الذى أسُدُ به جوعى طلب من الله ما يأكله ، وكان قد اشتد عليه الجوع ، يقول " الضحاك " مكث سبعة أيام لم يذق فيها طعاماً إلاَّ بقل الأرض .

ويقول " ابن عباس "- رضي الله عنهما - سار موسى من مصر الى مدين ليس له طعام إلاَّ البقل ، وورق الشجر ، وكان حافياً فما وصل الى مدين حتى سقطت نعل قدميه ، وجلس فى الظل وهو صفوة الله من خلقه ، وان بطنه للاصق بظهره من الجوع ، وان خضرة البقل لترى من داخل جوفه ، وإنه لمحتاج الى شق تمرة ، ثم يعد هنيهة .

والكلام فيه ايجاز غير مُخِل بالمعنى ، ولا غرور فالقرآن الكريم قمة الإعجاز البلاغى واللغوى ، وهذا الايجاز هوانهما ذهبتا سريعتين ، وكان من عادتهما الابطاء فحدثتا بما كان من امر الرجل ، وهوسيدنا موسى- عليه السلام - فأمر إحداهما أن تدعوه له فجاءته تمشى مشية الحرائر بحياء وخجل قد سترت وجهها بثوبها ، قال " عمر " -رضي الله عنه- " لم تكن بسلفع من النساء ، خراجة ولاجة والسلفع هى المرأة الجريئة السليطة الجسور ، فقالت له : إن أبى يطلبك ليجزيك خيراً عن أجر السقايا لغنمنا - يقول " ابن كثير " وهذا تادب فى العبارة لم تطلبه طلباً مطلقاً لئلا يوهم ريبة ، ويقول اهل العلم : وهوما نراه ونميل إليه أنه قال سبحانه " عَلَى اسْتِحْيَاء " ليكون الحياء في القول والفعل ، حياء فى القول فلا تخنث ولا تكسر ، ولا ميوعة فى الكلام ، وحياءً فى الفعل حتى لا يطمع الذى فى قلبه مرض، ولا يمكن لسيدنا موسى- عليه السلام - أن تتسرب الى قلبه ريبة ، بيد أن التوجيه عام الى جميع المسلمين كى يتخذوا من هذا الموقف عبرةً وعظةً وقدوةً، خاصةً شبابنا في هذا العصر الذى يوج بالتيارات ، والفتن ، الواردة التى تستهدف اسلامنا ، وتلك الرياح الهوجاء والأعاصير والسهام الجازرة ، والرماح الطاعنة ، والتى تسدد حيال صدور المسلمين تريد الكيد للاسلام ، والنيل من سيدنا محمد- ﷺ - خاصة الرياح التى تهب بالسم من اليهودية الماكرة ، والنصرانية الحاقدة .

فلما جاءه موسى -عليه السلام - وقص عليه ما كان من أمره والسبب في هربه من مصر الى مدين قال له سيدنا شعيب - عليه السلام - لا تخف فأنت في بلد آمن لا سلطان لفرعون عليك ، وقد نجاك الله من كيد الكائدين ، وسفاهة المجرمين ، وحقد الحاقدين ، ومكر الماكرين.

﴿... وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الأنفال: ٣٠]

فالمكر في جانب البشر معناه الخبث واللؤم ، والمكر في جانب الله - عزوجل- معناه التدبير ، فقالت إحدى بنات سيدنا شعيب : يا أبتى استاجره لرعى اغنامنا وسقايتها ، فإن أفضل من تستاجره لهذا العمل ، والقيام به خير قيام من كان قويا امينا مثل هذا الشاب .

يقول " أبي حيان " وقولها كلام حكيم جامع لأنه اذا اجتمعت الكفاية والأمانة في القائم بأمر من الأمور فقد تم المقصود ، وروى أن شعيباً ـ عليه السلام . قال لابنته : وما أعلمك بقوته وأمانته ؟ فقالت : انه رفع الصخرة التى لا يطيق حملها إلاَّ عشرة رجال ، هذا فى القوة ، أما فى الأمانة فقالت بنت سيدنا شعيب- عليه السلام - انى لما جئت

معه تقدمت أمامه فقال لى : " كونى من ورائى ودلينى على الطريق ، ولما أتيته خفض بصره فلم ينظر إلَىَّ ، فرغب شعيب فى مصاهرته ، وتزويجه بإحدى بناته فزوجه إياها وهى " صافوراء " ولذلك عرض عليه الزواج فقال له :إنى أريد أن أزوجك إحدى بناتى هاتين الصغرى أو الكبرى بشرط أن تكون أجيراً لى ثمانى سنين ترعى فيها غنمى فإن اتممتها عشر سنين فذلك تفضل منك وليس بواجب عليك ، وما أريد أن أوقعك في المشقة باشتراط العشر ، فقال له سيدنا موسى- عليه السلام- رداً على كلام سيدنا شعيب - عليه السلام ـ ستجدنى إن شاء الله حسن المعاملة ، لَيّن الجانب ، وفيا بالعهد ، يقول الإمام القرطبى . رحمه الله تعالى . " فى الآيه عرض الولى ابنته على الرجل ، وهذه سنة قائمة ، حيث ان سيدنا شعيب عرض ابنته على سيدنا موسى ، وعرض عمر- رضي الله عنه - ابنته "حفصة " على أبى بكر وعثمان . رضي الله عنهم .

وعرضت الموهوبة نفسها على النبى- ﷺ - فمن الحسن عرض الرجل وليته على الرجل الصالح ، وذلك اقتداءً بالسلف الصالح ، فقال موسى . عليه السلام لسيدنا شعيب إنما قلته أوعاهدتني عليه قائم بيننا جميعا لا نخرج عنه ، وأى المدتين الثماني أو العشر أديتها لك فلا إثم ولا حرج على ، والله شاهد على ما تعاهدنا ، وتواثقنا عليه ، فلما أتم موسى المدة التي اتفقا عليها يقول " ابن عباس " - رضي الله عنهما- قضى أتم الأجلين وأكملهما ، وأوفاهما وهوعشر سنين.

ومشى بزوجته مسافراً بها إلى مصر وقد اختلف المفسرون في هذا الرجل من هو؟

قيل انه " شعيب " النبي- عليه السلام- الذي أرسل إلى أهل مدين وهذا هو المشهور عند كثير من العلماء، وقد قاله الحسن البصري، وغير واحد، وقيل أن شعيباً-عليه السلام – هو الذي قص موسى عليه القصص ، وقيل بل كان ابن أخى شعيب ، وقيل رجل مؤمن من قوم شعيب وقال آخرون كان شعيب قبل زمان موسى- عليه السلام- بمدة طويلة ، لأنه قال لقومه " وما قوم لوط منكم ببعيد " ، وقد كان هلال قوم لوط في زمن " الخليل " - عليه السلام- بنص القرآن وكان بين الخليل وموسى- عليهما السلام - مدة طويلة تزيد على أربعمائة سنة والموجود في كتب بني إسرائيل إن هذا الرجل اسمه " بيرون " ويقول الإمام الشهيد"سيد قطب "ما نصه في هامش صفحة ٢٦٨٧ المجلد الخامس (سبق أن قلت مرة في الظلال أن هذا الرجل هوشعيب أوقلت مرة انه قد يكون النبي شعيبا أولا يكون ..... وأنا الآن أميل إلى ترجيح انه ليس هو وإنما هوشيخ آخر من مدين) والذي يحمل على هذا

الترجيح أن هذا الرجل شيخ كبير، وشعيب شهد مهلك قومه المكذبين له ولم يبق معه إلاَّ المؤمنين به .

فلوكان هوشعيب النبي- عليه السلام- بين بقية قومه المؤمنين ، ما سقوا قبل بنتي نبيهم الشيخ الكبير فليس هذا سلوك قوم مؤمنين ، ولا معاملتهم لنبيهم وبناته من أول ميل، يضاف إلى هذا أن القرآن لم يذكر شئ من تعاليمه لموسى جهرة . ولوكان شعيباً النبي لسمعنا صوت النبوة في شئ من هذا مع موسى وقد عاش معه عشر سنوات .

ويقول صاحب " التفسير الكبير " أن أباهما هو" بيرون " ابن أخى شعيب -عليه السلام - وشعيب مات بعدما عمى . وهذا قول " ابن عباس " - رضي الله عنهما - وقيل ليس في القرآن ما يدل على أن أباهما كان شعيباً ، ويقول الحسن انه رجل مسلم قبل الدين عن شعيب ، والأكثرون على انه شعيب - عليه السلام.

ونحن نرى أن الأمر الذي يهمنا ، ونهدف إليه ونتغياه من هذه القصة هوالعبرة والعظة والدرس المستفاد من هذه الأخلاق التي يسجلها القرآن الكريم في ذلك الحوار الذي دار بين سيدنا موسى - عليه السلام - وبين البنتين أيّاً كان أبوهما حيث أن الأخلاق بأسمى معانيها ، وغاياتها ومقاصدها تجلت في معاملة سيدنا موسى للبنتين ، وأنه سقى لهما ، ولم تحتمل شهامته ، ومروءته ، وخلقه أن يرى بنتين بين الرجال لسقى أغنامهم ، ولا يستطعن ذلك من زحام الرعاة وهذه أخلاق المؤمنين ، ولعل قوة سيدنا موسى النفسية هي التي أوقعت في قلوب الرعاة هيبته حيث أن قوة الإيمان ترهب وترعب ، حيث أن الناس يتأثرون بالقوة الروحية أكثر من غيرها من القوى ، ومنه أيضاً أن " العباس بن عبد المطلب" حيث أقره النبي- ﷺ - أن يرى " أبا سفيان " الجيش الإسلامى وهو متأهب لدخول مكة يوم الفتح .

يقول " أبوسفيان " حين رأى الجيش في استعراض عسكري ، ورأى خاصةً الكتيبة الخضراء والتي كانت مكونة من الأنصار والمهاجرين ، تلك القوات الخاصة التي كان النبي - ﷺ - يقودها بنفسه ، وهم مدججون بالسلاح والدروع لا يبين منهم إلا العيون عندئذ نرى " أبا سفيان " يقول يا عباس لقد أصبح ملك أخيك الغداة عظيما ، فقال له العباس : يا أبا سفيان ليس الملك إنما هي عظمة النبوة .

ولذلك نقول لا حاجة لنا في استعراض آراء المفسرين عن قوة سيدنا موسى مثل رفع الحجر الذي كان يغطى البئر، وكان لا يرفعه إلا عشرون أوأربعون أو أكثر أو أقل. فالبئر لم يكن مغطى، إنما كان الرعاة يسقون فكيف يسقون وهو مغطى ؟

فنحاهم سيدنا موسى وسقى ، كما انه لا حاجة لنا كذلك للروايات التي تثبت أمانة سيدنا موسى مثل قوله للفتاه " إمشي خلفي ودليني على الطريق " خشية أن يراها ، أو أنه قال لها هذا القول بعد أن مشى خلفها ، فرفع الهواء ثوبها عن كعبها ، فهذا كله تكلف لا داعي له ، ولا يجب الالتفات إليه ، كما أنه لا يجب ترديده بل من الواجب الإعراض عنه ، والبحث وراء ما تتغياه القصة من الأخلاق الكريمة ، لأنه دفع لريبة لا وجود لها أصلاً، وسيدنا موسى نظيف الحس ، عفيف النظر ، وهى أيضا كذلك ، ولعل الشيخ استجاب لرغبتها ، ونزل على رأيها لأنه أحس من نفس الفتاه ونفس موسى ثقة متبادلة ، وميلاً فطرياً سليماً يصلح لبناء أسرة مسلمة على أساس من الدين والأخلاق ، فالإسلام يرقب من معتنقه أن يكون ذا ضمير يقظ ، تُصان به حقوق الله ، وحقوق الناس، وتحرس به الأعمال من دواعي التفريط والإهمال ، ومن ثم أوجب على المسلم أن يكون أمينا ، والأمانة في الإسلام واسعة الدلالة ، فليست الأمانة في الإسلام محصورة في حفظ الودائع والأمانات ، من أموال وحلى ، ومعاملات ورقية ، أوعقود بيع أورهن أو إيصالات أمانة ، وشيكات ، وغير ذلك من الأمور التي يتعامل بها الناس في حياتهم الدنيوية ، يقول رسول الله - ﷺ -: " كلكم راع ومسئول عن رعيته ، فالإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة في بيت زوجها راعية وهى مسئولة عن رعيتها ، والخادم في مال سيده راع ومسئول عن رعيته " (١).

يقول " ابن عمر "- رضي الله عنهما - وهوراوي الحديث: سمعت هؤلاء من النبي - ﷺ - واحسبه قال " الرجل في مال أبيه راع وهومسئول عن رعيته" .

إن الإسلام يرقب من معتنقه أن يكون ذا ضمير يقظ تصان به الحقوق وتحرس به الأعمال من دواعي الإهمال والضياع ، والتفريق ، ومن ثم أوجب الإسلام على المسلم أن يكون أمينا .

والأمانة في نظم الاسلام واسعة الدلالة تنظم كل شئ في حياة المسلم يقول الله – عز وجل- : ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [سورة القصص:٢٤:٢٥]

1 - رواه البخاري .

والمعنى : فسقى لهما غنمهما ، ثم انصرف إلى ظل شجرة ليُقَيِّـل ويستريح وناجى ربه قائلا : " إنى لمحتاج إلى شئ تنزله إلىَّ من خَزائن جُودِك وكرمك .

روى عن ابن عباس – رضى اللّٰه عنهما – أنه قال : " لقد قال موسى- عليه السلام- ذلك وهوأكرم خلق اللّٰه عليه ، ولقد افتقر إلى شق تمرة ولصق بطنه بظهره من شدة الجوع ، فجاءه الفرج بعد الشدة وأجاب اللّٰه طليبته ، وحقق على الفور رغيبته ، فجاءته إحدى المرأتين تمشى وهى حيية قد سترت وجهها بثوبها قائلةً : " إن أبى يدعوك ليكافئك على ما صنعت من الإحسان ، وأسديت إلينا من المعروف بسقى غنمنا ، قال عمروبن ميمون:" ولم تكن سلفعا من النساء ، يريد لم تكن امرأة جريئة على الرجال خراجه ولاجه ، وقد أسندت الدعوة إلى أبيها وعللتها بالجزاء حتى لا يتوهم من كلامها شئ من الريبة ، كما إن في كلامها دلالة على كمال العقل والحياء ، والعفة كما هو واضح من الآيه الكريمة.

فقد شوهدت مخايل الأمانة على موسى حين سقى لأبنتى الرجل الصالح ورفق بهما واحترم أنوثتهما ، وكان معهما عفيفاً ، شريفاً ، دليل ذلك قوله تعالى :

﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [سورة القصص:٢٤]

وقد حدث هذا قيل أن ينبأ موسى ويرسل إلى فرعون - ولا غرو- فَرُسُل اللّٰه يختارون من أشرف الناس طباعاً ، وأذكاهم معادن ، والنفس التي تظل معتصمة بالفضيلة على شدة الفقر ، ووحشة الغربة ، هي بلا ريب تكون لرجل قوى أمين ، والمحافظة على حقوق اللّٰه ، وحقوق العباد ، تتطلب خُلقاً لا يتغير باختلاف الأيام بين نعمى وبؤسي ، وذلك جوهر الأمانة .

وطلب موسى من اللّٰه مطلبه المعروف حيث كان محتاجاً إذ بات ثماني ليال طاوياً ، أو أنى لما أنزلت إلى من خير فقير في الدنيا فيكون شكراً ، ولم يكن سقيه لهما طلباً للأجرة ، وإنما هو طلب للأجر والثواب ، لذلك قال : " انى لما أنزلت من فضلك وغناك فقير إلى أن تغنينى بك عمن سواك .

وروى ان اسم إحداهما " ليا " والأخرى " صفورياء " وقيل : " صافوراء " ابنتا يثرون وهوشعيب -عليه السلام- . فقد كان موسى أميناً وصاحب مروءة حيث لم يعلن نظره بها، ولم يتبعهما بنظرة حازرة ، ولا سهم مريب طاعن ، بل سقى لهما ثم تولى إلى الظل حيث كان يجلس من قبل ، وقد حمد اللّٰه – عزوجل – أن ساق إليه هذا الرزق الذي وجده فيما أسدى إلى هاتين الفتاتين الضعيفتين من عون وإحسان ، وانه لفقير إلى مثل هذه الأعمال الطيبة ليكفر بها ما كان فيه من قتل المصري .

وهناك أمور جزئية لم يذكرها القرآن وذلك لدلالة الحال عليها ، فجاءته إحداهما تمشي في خِفْة وحياء شأن المرأة الحصان ، العفيفة ، وَحَسَبها أنها ربيبة بيت النبوة ، فلقد تجسد الحياء حتى كان بساطاً ممدوداً على طريقها إلى موسى إنها لا تمشي على الأرض ولكنها تمشي على حياء ، تتعثر فيه قدماها ، وتقصر به خطاها ، ويضطرب له كيانها ، وذهبت إليه لأن أباها شيخ كبير ، ولوكان في وسعه أن يذهب إلى موسى ما بعث بابنته اليه ، وهو الغريب الذي لا مأوى له في البلد ، وليس المراد بالأجر هنا هوالأجر المادي ، إنما هوجزاء الإحسان بالإحسان ، ولقاء المعروف بالمعروف ، وهنا تظهر الأنثى التي تطلب الرجل الذي تطمع في أن يكون رجلها الذي تحلم به ، وتنتظر الأيام تجئ به ليطرق بابها .

﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ [سورة القصص:٢٦]

والمعنى : امسك به عندنا ولا تدعه يفلت من يديك وذلك بأن تصله بك يعمل ، فهوخير من يعمل لك ، حيث عجزت عن العمل .

﴿ ... ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [سورة القصص:٢٦]

هكذا تكشف لأبيها عن معدن الرجل الذي يستأجره وأنه في الرجال من يتزين بأجمل صفتين وهما : القوة والأمانة ، فقد رأت قوته فيما كان منه من السقي لهما ، كما رأت أمانته في غض بصره عنها ، وقد جاءت وحدها تدعوه إلى أبيها ويستجيب شعيب – عليه السلام – لهذا الطلب في غير تردد ، ويستشعر بمشاعر الأب ما في نفس ابنته نحو هذا الغريب ، وهكذا يجئ شعيب إلى موسى صريحاً واضحاً ، كما يجئ إلى ابنته أبا حانيا ، عاطفا ، لا يرى حرجا في أن يتخير لابنته الرجل الذي تتمناه زوجا لها ، ويردها حياءها عن أن تعرض نفسها عليه ، وما كان أبرع شعيباً وأحكمه وأعدله ، فيما بينه وبين موسى من جهة ، ثم فيما بينه وبين ابنته من جهة أخرى ، ولم يفرض على موسى واحدة بعينها فمن حق موسى أن يختار من يشاء منهما ، فلقد رآهما من قبل كما رآهما في بيت أبيهما ، وليس من الحكمة ولا من المصلحة ان تفرض عليه واحدة بعينها ، حتى ولو كان لموسى رغبة فيها ، وكان لها رغبةً فيه ، فالفرض يصادر رأى موسى ويهدم إرادته ، فإذا لم يختر موسى شريكة حياته وهو سيعيش في بيت شعيب كان في ذلك تنغيص له واضطراب لحياته الزوجية ، هكذا الإنسان ، وهكذا تكون الحياة ، وأن شعيب لم يؤثر إحداهما على الأخرى حتى لا تكون في نفس الأخرى أسى ومرارة ، تجلى ذلك في قوله : ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ ... ﴾ [سورة القصص:٢٧]

ولقد كان قول بنت شعيب قولاً حكيماً جامعاً ، لأنه اجتمعت فيه الكفاية والأمانة في القائم بأمر من الأمور وإذا حدث ذلك فقد تم المقصود .

ويمضى القرآن الكريم في الحث على التحلي بالأخلاق الفاضلة ومنها الأمانة والتي نحن بصدد تناولها من خلال الآيات القرآنية الكريمة فيقول الله تعالى في سورة الأحزاب : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [سورة الأحزاب:٧٢] .

فعن ابن عباس-رضى الله عنهما - قال : يعنى بالأمانة الطاعة عرضها عليهم قبل أن يعرضها على آدم - عليه السلام- فلم يطقها فقال لآدم : " انى قد عرضت الأمانة على السماوات والأرض والجبال فلم يطقنها ، فهل أنت آخذ بما فيها ؟ قال : يارب وما فيها ؟ قال : ان أحسنت جزيت ، وان أسأت عوقبت ، فأخذها آدم فتحملها فذلك قوله تعالى : ﴿...وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [سورة الأحزاب:٧٢]

وعن ابن عباس- رضى الله عنهما - أيضا : الأمانة هي الفرائض عرضها الله على السماوات والأرض والجبال إن أدوها أثابهم ، وإن ضيعوها عذبهم ، فكرهوا ذلك وأشفقوا على من غير معصية ولكن تعظيما لدين الله ألاَّ يقوموا بها ، ثم عرضها على آدم فقبلها بما فيها ، وهو قوله تعالى : ﴿...وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾

وقيل أنها عرضت على ادم فقال : خذها بما فيها فان أطعت غفرت لك وان عصيت عذبتك ، قال : قبلت ، فما كان إلاَّ مقدار ما بين العصر إلى الليل دون ذلك اليوم حتى أصاب الخطيئة .

ويقول الحسن البصري - رحمه الله - وآخرون - : " إن الأمانة هي الفرائض ، وقال آخرون : هي الطاعة ، وقال قتادة : الأمانة هي الدين ، والفرائض والحدود ، وقال بعضهم : هي الغسل من الجنابة ، وقيل : إن الأمانة ثلاثة : الصلاة ، والصوم والاغتسال من الجنابة ، وكل هذه الأقوال متفقة في مضمونها ، وراجعة إلى أنها التكليف وقبول الأوامر والنواهي بشرطها ، وهى إن قام بها أثيب ، وإن تركها عوقب ، فقبلها الإنسان على ضعفه وجهله ، وظلمه ، إلاَّ من وفقه الله ، والله المعين على ذلك .

وعن الحسن البصرى - أيضا - قال : " عرض الله الأمانة على السبع الطباق الطرائق التي زينت بالنجوم ، وحملة العرش العظيم ، فقيل لها : هل تحملين الأمانة وما فيها ؟ قالت: وما فيها ؟ قال: قيل لها : ان أحسنت جزيت ، وان أسأت عوقبت ، قالت : لا ، ثم عرضها على الأرضين السبع الشداد التي شدت بالأوتاد وزللت بالمهاد ، فقيل لها : هل

تحملين الأمانة وما فيها ؟ قالت : وما فيها ؟ فقيل لها : إن أحسنت جزيت ، وإن أسأت عوقبت ، قالت : لا ، ثم عرضها على الجبال الصم الشوامخ ، والصعاب الصلاب ، قال : قيل لها : هل تحملين الأمانة وما فيها ؟ قالت : وما فيها ؟ قال لها : إن أحسنت جزيت ، وإن أسأت عوقبت ، قالت : لا .

ويقول مقاتل بن حيان : إن الله تعالى حين خلق خلقه جمع بين الإنس والجن ، والسماوات والأرض والجبال فبدأ بالسماوات فعرض عليهم الأمانة وهى الطاعة فقال لهن: أتحملن هذه الأمانة ولكن على الفضل والكرامة والثواب في الجنة ؟

فقلن يا رب إنّا لا نستطيع هذا الأمر ، وليس بنا قوة ولكنا لك مطيعين ثم عرض الأمانة على الأرضين ، فقال لهن : أتحملن هذه الأمانة وتقبلنها منى ، وأعطيكن الفضل والكرامة في الدنيا ؟ فقلن : لا صبر لنا على هذا يارب ، ولا نطيق ، ولكنا لك سامعين مطيعين ، لا نعصيك في شئ أمرتنا به ، ثم قرب " آدم " فقال له : أتحمل هذه الأمانة وترعاها حق رعايتها ؟ فقال عند ذلك آدم : ما لى عندك ؟ .

قال : يا آدم إن أحسنت ، وأطعت ، ورعيت الأمانة فلك عندي الكرامة والفضل وحسن الثواب في الجنة ، وإن عصيت ولم ترعها حق رعايتها ، وأسأت فأنى معذبك ، ومعاقبك ، وأُنزلك النار ،

قال : رضيت يارب وأتحملها ، فقال الله – عز وجل – عند ذلك : قد حملتكها ، فذلك قوله تعالى : ﴿...وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ...﴾ . ويقول الله تعالى في شان الأمانة: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾[سورة المعارج:٣٢].

والمعنى : أى يؤدون الأمانات ، ويحفظون العهود ، فإذا ائتمنوا لم يخونوا وإذا عاهدوا لم يغدروا .

ومن معانى الأمانة وضع كل شئ في المكان الجدير به ، واللائق له فلا يسند منصب الا لصاحبه الحقيق به ، الا ترى إلى يوسف الصديق ؟

انه لم يرشح نفسه لإدارة شئون المال بنبوته ، وتقواه فحسب ، بل بحفظه وعمله، قال تعالى : ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾ [سورة يوسف:٥٥] .

وان سيدنا أبا ذر الغفاري– رضي الله عنه– لما طلب الولاية لم يَرّه النبي– ﷺ –أمينا بها ، ولا جلدا لها ، فلذلك حذره منها حيث " قال أباذر– رضى الله عنه– : يا رسول الله الا تستعملني ؟ أى : اجعلني في منصب من المناصب المهمة ، فقال له

النبي- ﷺ -: يا أبا ذر إنك ضعيف ، إنها أمانة ، وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلاَّ من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها " (١) .

فالأمانة تقتضى أن نولى الأعمال والمناصب أصحاب الكفاءات ، دونما تعصب لقرابة ،أو خضوع لرشوة ، أو هوى شخصي ، قال رسول الله - ﷺ -: "من استعمل رجل على عصابة وفيهم من هوارضي لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين " (٢) .

والأمة التي لا أمانة فيها هي الأُمة التي تُعْبَـثُ فيها الشفاعات بالمصالح المقررة ، وتطيش بأقدار الرجال الاكفاء لتهملهم ، وتقدم من دونهم ، وهذا مظهر من مظاهر الفساد الخطير. جاء رجل يسال رسول الله - ﷺ - متى تقوم الساعة ؟

فقال له : " إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة ، فقال : وكيف إضاعتها ؟ فقال : إذا وَسَدَ الأمر لغير أهله فانتظر الساعة " (٣) .

فليست أعظم خيانة ، ولا أكبر جرماً ، ولا أسوأ عاقبةً ، من رجل تولى أمور الناس فنام عنها حتى أضاعها .

ومن معانى الأمانة ان تنظر إلى حواسك التي أنعم الله بها عليك ، وإلى المواهب التي خصك بها فتدرك أنها ودائع الله الغالية عندك فمن الواجب عليك ان تسخرها في طاعة الله ، يقول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٧ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ٢٨ ﴾ [سورة الأنفال:٢٧:٢٨] .

ومن معانى الأمانة ان تحافظ على حقوق المجالس التي تشارك فيها فلا ترخى للسانك العنان فتسرد أخبارها ، وتنشر أسرارها ، قال رسول الله - ﷺ -: " المجلس بالأمانة إلاَّ ثلاثة مجالس : مجلس سفك دم ، أو فرج حرام أو اقتطاع مال بغير حق " (٤) .

والودائع التي تدفع إلينا لنحفظها صينا ثم نردها إلى أصحابها حين يطلبونها منّـا من الأمانات التي نسال عنها أمام الله يوم القيامة ، وقد استخلف النبي- ﷺ - عند هجرته من مكة إلى المدينة ابن عمه على بن أبى طالب – رضى الله عنه – ليرد للمشركين الودائع التي كانت محفوظة عند رسول الله- ﷺ - حين ترك وطنه فاراً بعقيدته .

قال ميمون بن مهران : " ثلاثة يؤدين إلى البر: الأمانة ، والعهد ، وصلة الرحم ".

1- رواه مسلم .
2- رواه الحاكم .
3- رواه البخاري .
4- رواه أبوداود .

قال تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨ ﴾ [سورة النساء:٥٨] .

والأمانة التي تدعوإلى رعاية الحقوق ، وتعصم عن الدنايا ، لا تكون بهذه المثابة إلاَّ إذا استقرت في وجدان المرء ، وكانت راسخةً في أعماقه ، وهيمنت على الداني والقاصي في مشاعره ، وذلك معنى حديث حذيفة بن اليمان -رضى الله عنه- عن رسول الله- ﷺ- "إن الأمانة نزلت في جزر قلوب الرجال ، ثم نزل القرآن ، فعلموا من القرآن وعلموا من السنة " (١) .

فإذا مات الضمير انتزعت الأمانة ، فما يعنى عند المرء ترديده لآيات القرآن الكريم، ولا حفظه للحديث ، ولا دراسته للسنة ، فهيهات أن تستقر الأمانة في قلوب تنكر الحق .

إن الأمانة من الفضائل الضخمة لا يستطيع حملها الرجال المهازيل وقد بين الله سبحانه أنها تثقل كاهل الوجود ، فلا ينبغي للإنسان أن يستهين بها أويفرط في حقها .

فالأمانة في الإسلام هي الفريضة التي يتواصى المسلمون برعايتها ويستعينون بالله على حفظها حتى انه يقول عند السفر أوغيره لأخيه المسافر: استودع الله دينك وأمانتك، وخواتيم عملك. (٢)

وعن أنس قال: ما خطبنا رسول الله- ﷺ- إلاّ قال " لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد عنده " (٣) .

1- تفسير البحر المحيط جـ٧ ، ص ١١٤ .
- تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ٣ ، ص ٣٨٢ ، جـ ٢ ، ص ٥٢٢ وما بعدها .
- التفسير القرآني للقرآن ، تفسير الكريم الخطيب جـ ٥ ، ص ٣٣٤ وما بعدها .
- تفسير القرطبي جـ ١٣ ، ص ٢٢٦ ، وما بعدها وأيضا ص ٢٥٣ وما بعدها .
- الفتوحات الالهيه للجمل جـ٣ ، ص ٢٢ وما بعدها .
- تفسير المراغى جـ ٧ ، ص ٥ ، وما بعدها ، جـ ١ ، ص ٧٢ .
- تفسير أبى السعود جـ ٤ ، ص ٢٢١ .
- صفوة التفاسير جـ ٣ ، ص ٤٤٦ .
- رواه مسلم ،
- تفسير أبوالسعود جـ ٤ ، ص ٢٢١ .
- التسهيل في علوم التنزيل جـ٣ ، ص ١٤٥ .
- زاد المسير جـ ٦ ، ص ٤٢٨ .

2 - رواه الترمذى .
3 - رواه أحمد.

ويقول النبي- ﷺ - " اللَّهم انى أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع ، وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة " (١) .

وكان رسول الله- ﷺ - في حياته الأولى قبل البعثة يلقب بين قومه بالأمين .

وكذلك شوهدت مخايل الأمانة على سيدنا موسى حين سقى لابنتا الرجل الصالح ورفقه بهما ، واحترام أنوثتهما ، وكان معهما عفيفاً ، شريفاً ، ومع ذلك لم يكن موسى نبياً في ذلك الوقت ، بل كان شاباً في فترة المراهقة المبكرة بلغة العصر الحديث ، وفى هذا قدوة لشبابنا المسلم حتى لا يقول محتجاً انه نبي ومعصوم ، فلم يكن موسى نبياً وقتئذ ، بل كان شابا جلداً قويا ، فقد حدث هذا قبل أن ينبأ ، ويرسل إلى فرعون ، ولا غرور فان رسل الله- صلوات الله وسلامه عليهم - يختارون من اشرف الناس طباعا ، وأذكاهم معادن ، واصفاهم سريرةً ولذلك كانت الأمانة في الإسلام ، والاحتفاظ بحقوق الله ، والمحافظة على حقوق العباد يتطلب خلقاً لا يتغير بتغير الأيام بين النعماء والبأساء ، وذلك هوجوهر الأمانة ، ومن الأمانة أيضا وضع كل شئ في موضعه حسب الكفاءة والإمكانات العلمية .

فعن أبى ذر. رضي الله عنه. قال : قلت يا رسول الله ألا تستعملني؟

قال فضرب بيده على منكبي ، ثم قال : يا أبا ذر انك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة ، إلاَّ من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها .(٢)

وانظر إلى سيدنا يوسف . عليه السلام . انه لم يرشح نفسه لإدارة الشئون المالية بنبوته وتقواه فحسب بل بحفظه وعمله أيضا.

﴿ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥ ﴾ [سورة يوسف :٥٥] .

وأباذر- رضي الله عنه- لما طلب الولاية لم ير الرسول- ﷺ - جلداً لها ، وأميناً بها، وجديراً بتوليها لذلك حذره منها ولم يوله حفاظاً عليه ، خشية أن يلحق من ورائها ما يضر بدينه .

هكذا الأمانة ، ومحافظة النبي - ﷺ - على أصحابه ، ومن الأمانة أن نصطفى الكفاءات لتولى المناصب وإدارة الأعمال ، قال رسول الله- ﷺ - " من استعمل رجل على وصاية وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنون "(٣) .

1- رواه .
2- رواه مسلم.
3- رواه الحاكم .

فانظر إلى هذا العصر الأنكد الذي تولى فيه أمورنا شرارنا ، خاصةً فيما نسميه الدولة " دولة المؤسسات " واختيار أعضاء المحليات ، ومجلس الشعب ومجلس الشورى ، إنهم أناس لا يتصفون بالأمانة ، ولا يتحلون بالأخلاق الفاضلة إلاَّ من عصم الله وهم قلةً قليلة تكاد تُعَدُّ على أصابع اليد الواحدة .

والأمة التي لا أمانة فيها هي الأمة التي تعبث فيها الشفاعات بالمصالح وتطيش بأقدار الرجال الأكفاء لتهملهم ، وتقدم من دونهم ، وقد استشرى هذا الفساد حتى خلت الساحة من الأكِفْاَءِ ، وغصت بالأكِفاء . جاء رجل يسأل رسول الله - ﷺ - " متى تقوم الساعة ؟فقال له : إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة ، فقال وكيف إضاعتها ؟ قال : إذا وسد الأمر لغير أهله فانتظر الساعة " (١) .

وقال رسول الله - ﷺ - " إذا جمع الله بين الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء يعرف به فيقال هذه غدرة فلان " (٢) .

وفي رواية أُخرى " لكل غادر لواء عند أمته ، يرفع له بقدر غدرته ، ولا غادر أعظم من أمير عامة "(٣) يعنى ليس أعظم خيانة ، ولا أسوأ عاقبة من رجل تولى أمور الناس فنام عنها حتى أضاعها ، ومن الأمانة ألا يستغل الرجل منصبه الذي عين فيه لجر منفعة خاصة لنفسه ، أولقرابته ، فإن سرقة المال العام جريمة لا تغتفر ، والمعروف أن كل موظف في الدولة أوشركة له مرتب معين فإذا ما تقاضى قوم ذلك من طريق غير مشروع فهو سُحْت ، وكسب حرام .

قال رسول الله - ﷺ - " من استعملناه على عمل فرزقناه رزقاً ، فما أُخذ بعد ذلك فهو غلول " (٤) .

وكان غلولاً لأنه يعد اختلاس من المال العام ، وهو مال الجماعة المسلمة يعنى هو ملك لجميع المسلمين ، يقول الحق سبحانه : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ [سورة ال عمران:١٦١].

أما المسلم الذي يلتزم حدود الله فيما أُسند إليه،ويؤدى واجبه على الوجه الأكمل فهو عند الله من المجاهدين لنصرة دينه،وإعلاء كلمته،قال رسول الله- ﷺ -

1 - رواه البخاري .
2 - رواه البخاري .
3 - رواه مسلم.
4 - رواه أبوداود .

"العمل إذا استعمل فاخذ الحق وأعطى الحق لم يزل كالمجاهد في سبيل الله حتى يرجع إلى بيته" (١)

وقد شدد الإسلام في ضرورة التعفف عن استغلال النفوذ، كما شدد في رفض المكاسب غير المشروعة والتي يشوبها الحرام.

فعن " عدى بن عميرة " قال : سمعت رسول الله -ﷺ- قال " من استعملناه منكم على عمل فكتمنا مخيطا فما فوق كان غلولا يأتى به يوم القيامة ، فقام إليه رجل أسود من الأنصار-كأنى انظر إليه- فقال يا رسول الله اقبل عنى عملك قال : ومالك؟قال: سمعتك تقول كذا وكذا ، قال : وأنا أقوله الآن من استعملناه منكم على عمل فليجئ بقليله وكثيره فما أوتى منه اخذ ، وما نهى عنه انتهى " (٢) .

وحدث أن استعمل النبي -ﷺ- رجل من " الأزد " يقال له " ابن اللتيبة " على الصدقة ، فلما قدم بها قال : هذا لكم ، وهذا أهدى إلى ، يقول راوي الحديث فقام رسول الله-ﷺ- فحمد الله واثني عليه ثم قال : أما بعد فأنى استعمل الرجل منكم على العمل مما ولانى الله فيأت فيقول : هذا لكم ، وهذا هدايا أهديت إلى ، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقاً ؟

والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه إلا لقي الله يحمله يوم القيامة فلا اعرفن أحد منكم لقي الله يحمل بعيراً له رغاء ، أوبقرة لها خوار ، أوشاة تبعر ثم رفع يديه حتى رؤى بياض أبطيه يقول : اللَّهم هل بلغت " (٣) .

ومن الأمانة أيضا أن ينظر المسلم إلى حواسه التي انعم الله بها عليه وللأموال والأولاد والمناصب ، والمواهب التي خصه الله بها ، ومنحه إياها ، فيدرك المسلم أنها ودائع الله عنده فيجب أن يسخرها في مرضاة الله ورسوله ، قال الله-ـ عز وجل :-﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٧ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ٢٨ ﴾ [سورة الأنفال:٢٧:٢٨] .

ومن معاني الأمانة حفظ حق المجلس فإذا كنت في مجلس حاضراً فالأخلاق القرآنية تأمرك بألا تفشى أسرار هذا المجلس ، قال رسول الله-ﷺ-:" اذا حدث رجل رجلاً بحديث ثم التفت فهو أمانة ، يعنى اذا حدثه بحديث وأدار ظهره له فيصبح الحديث

1 - رواه الطبراني .
2 - رواه مسلم.
3- رواه مسلم.

أمانة لا يجوز له إفشاءه ، قال رسول الله- ﷺ - "المجلس بالأمانة الا ثلاثة مجالس ، مجلس سفك دم حرام أو فرج حرام ، أو إنقطاع مال بغير حق " (١) .

وللعلاقات الزوجية أيضا فى نظر الإسلام قداسة وإحترام ، فما يضمه البيت من شئون العشرة بين الرجل والمرأة من الواجب ان يطوى فى أَستار مُسْبَلةٍ فلا يطلع عليه أحد مهما قرب .

والسفهاء من العامة والدهاء يثرثرون في هذه الامور، وتلك وقاحة يحرمها الله- سبحانه.

فعن أسماء بنت يزيد أنها كانت عند رسول الله- ﷺ - والرجال والنساء قعود عنده.

فقال : لعن الله رجلا يقول ما فعل بأهله ، ولعن الله امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها ؟

فألزم القوم- سكتوا وَجلين- فقلت : أى والله يا رسول الله ، إنهم ليفعلون وإنهن ليفعلن ، قال " فلا تفعلوا فإنما مثل ذلك شيطان لقي شيطانه فغشيها والناس ينظرون"(٢) .

وقال رسول الله - ﷺ -: " ان من أعظم الامانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضى الى امرأته وتفضي إليه ، ثم ينشر سرها " (٣) .

والودائع التى يحفظها الناس لدينا هى أمانة أيضاً نُسأل عنها امام الله- سبحانه - ويجب ردها الى صاحبها متى طلبها .

وقد استخلف رسول الله- ﷺ - سيدنا " على بن أبى طالب "-رضي الله عنه- عند هجرته من مكة الى المدينة ليرد الأمانات والودائع للمشركين حيث أنهم كانوا قد حفظوها لدى النبى- ﷺ - مع ان هؤلاء المشركين أصحاب الودائع التى استخلف النبى عَلِيّاً لردها لأصحابها كانوا بعض الذين استفزوه من الأرض، واجبروه على ترك وطنه مسقط رأسه ، ومدرج صباه ، وذلك في سبيل عقيدته لكن الشريف لا يضيع مع الصغار.

يقول"ميمون بن مهران"ثلاثة يؤدين إلى البر والفاجر : الأمانة ، والعهد ، وصلة الرحم .

أما أن يعد بعض الناس الوديعة غنيمة ، فذلك لون من ألوان السرقة الفاجرة .

1- رواه ابوداود .
2- رواه الإمام احمد.
3- رواه مسلم.

obeikandi.com

فعن " عبد الله بن مسعود " -رضي الله عنه - قال : القتل في سبيل الله يكفر الذنوب كلها إلاَّ الأمانة ، قال : يؤتى بالعبد يوم القيامة وإن قتل في سبيل الله ، فيقال : أدى أمانتك ، فيقول : اى رب كيف وقد ذهبت الدنيا ؟ فيقال : انطلقوا به الى الهاوية ، وتمثل له أمانته كهيئتها يوم دفعت إليه فيراها فيعرفها ، فيهوى فى أثرها حتى يدركها فيحملها على منكبيه ، حتى اذا ظن أنه خارج زلت عن منكبيه فهو يهوى فى أثرها ابد الآبدين ، ثم قال : الصلاة أمانة ، والوضوء أمانة ، والوزن أمانة ، والكيل أمانة ، وأشياء عددها ، وأشد ذلك الودائع ، يقول راوي الحديث : فأتيت البراء بن عازب فقلت : ألا ترى الى ما قال بن مسعود قال كذا وكذا ، قال البراء : صدق اما سمعت الله يقول :

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨ ﴾ [سورة النساء :٥٨] .

إن الأمانة خُلُق اسلامى أرشدنا اليه القرآن الكريم اثناء حديثه عن الأخلاق ، وهوفضيلة من الفضائل العظيمة ، لا يستطيع حملها المهازيل من الرجال ، حيث انها ثقيلة ضخمة تثقل كاهل الوجود كله ، فلا ينبغي للإنسان الاستهانة بها ، أو أن يفرط فيها .

يقول الله - عزوجل:- ﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ٧٢ ﴾ [سورة الأحزاب:٧٢] .

والظلم والجهل آفتان عرضتا للفطرة الأولى ، وعنى الإنسان بجهادهما ، فلن يخلص له إيمان ، إلاَّ اذا أنقاه من الظلم .

قال تعالى :﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾[سورة الأنفال :٨٢]

وأن يخلص له تقوى إلا إذا نقاها من الجهالة ، يقول سبحانه وتعالى:-﴿ ...إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ ... ﴾ [سورة فاطر:٢٨] .

ولذلك بعد أن يقرأ الآية التى حملت الانسان الأمانة تجد أن الذين غلبهم الظلم والجهل ، خانوا ونافقوا وأشركوا، فحق عليهم العقاب، ولم تكتب السلامة لأهل الإيمان والأمانة .

قال تعالى: ﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٧٣ ﴾[سورة الأحزاب:٧٣] .

هذه هى الأخلاق فى القرآن الكريم ،ذينكم الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والذى يجب على المسلم ان يتخلق بأخلاق القرآن الكريم الذى أنزله الله هدى ورحمة للعالمين ، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ، اللهم وفقنا للعمل بما أودعته من أخلاق فى كتابك العزيز [1].

1 - البحر المحيط ج٧ ص١١٣ .
- صفوة التفاسير للصابوني ج٢ ص٤٣٠ وما بعدها.
- مفاتح الغيب اوالتفسير الكبير للرازي ج١٢ ص٢٦٥ وما بعدها .
- مختصر تفسير ابن كثير ج٣ ص١٠.
- تفسير الطبرى ج٢٠ ص٣٩ .
- فى ظلال القرآن للامام الشهيد سيد قطب ج٥ ص٢٦٨٥- ٢٦٨٩ .
- تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٣ ص٣٨٣- ٣٨٦ .
- روح المعاني للالوسى .
- النهر الماد من البحر المحيط ، حاشية على البحر .
- الدر اللقيط من البحر المحيط ، حاشية على البحر .

obeikandl.com